

سينمائي مهاجر هواجسه الشباب والحب والضياع

هاني أبوسعد

الفلسطيني الذي استحق ثقة هوليوود



● قصة فيلم "الجبل بيننا" تعتبر من الأعمال التقليدية التي سبق وشاهدناها في العديد من الأفلام، إلا أن المساحة البيضاء التي جمعت بطلي العمل لأيام في مكان ضيق، خلقت علاقة روحية بينهما.

● أفلام أبوسعد الكاتب والمخرج والمنتج، تحفر مكانها في ذاكرة النقاد ومحبي السينما، وتحضر في وجدان الجمهور الفلسطيني والعربي ما دامت تدور على قلتها في فلك قضايا فلسطين الإنسانية قبل السياسية.

تتوفر لها ميزانيات ضخمة، ويحظى مخرجوها وممثلوها بأجور عالية، ويبقى فيلما هوليووديا له ما له وعليه ما عليه ويحتمل أبطاله العبء الأكبر في نجاحه أو فشله، وهي تجربة تشبه إلى حد كبير التجارب الكثيرة التي خاضها المخرج السوري الراحل مصطفى العقاد في إنتاجه لسلسلة أفلام الرعب هالووين، التي نجحت نجاحا باهرا وسجلت مبيعات كبيرة لكنها لم تصنع للعقاد مجده الذي حققه في أفلامه العربية كمخرج لفيلم "الرسالة" و"عمر المختار".

ومن أعمال هذا المخرج الفلسطيني أيضا فيلم روائي قصير بعنوان "منزل ورقي" في العام 1992، بالإضافة إلى فيلمه "لا تنسني يا إسطنبول" الذي كتبه وأخرجه في العام 2011، كما قدم في العام 2016 فيلما بعنوان "يا طير الطائر" عن سيرة حياة نجم أراب أيدول محمد عساف. وتبقى أفلام أبوسعد الكاتب والمخرج والمنتج، خالدة في ذاكرة النقاد ومحبي السينما وحاضرة في وجدان الجمهور الفلسطيني والعربي ما دامت تدور على قلتها في فلك قضايا فلسطين الإنسانية قبل السياسية.

تجربة أبوسعد تشبه إلى حد كبير التجارب الكثيرة التي خاضها المخرج السوري الراحل مصطفى العقاد في إنتاجه لسلسلة أفلام الرعب «هالووين»، التي سجلت مبيعات كبيرة، لكنها لم تصنع للعقاد مجده الذي حققه في فيلمه العربيين مثل «الرسالة» و«عمر المختار»

ولظروف متعلقة بمكان الافتتاح والتغيب الجمهور وانصرافه كما هي العادة فور انتهاء حفل الافتتاح، أوقف المخرج عرض فيلمه لليوم التالي. وكانت المرة الأولى التي يشاهد فيها الجمهور العربي فيلما عالميا من إخراج فلسطيني رصدت له شركة "فوكس للقرن العشرين" وهي واحدة من أكبر شركات الإنتاج الفني والتوزيع حول العالم ميزانية كبيرة.

تدور أحداث الفيلم حول "البكس" المصورة الصحافية الأميركية التي تلعب دورها النجمة كيت وينسلت التي تستعد للسفر للاحتفال بزفافها، والطبيب "بن" المتخصص بالأعصاب يلعب دوره إدريس البسا المسافر أيضا المهمة الطبية، حيث يلتقيان في المطار وقد وقعا في نفس الإنسكاف والظرف، ولأن يتمكن من السفر في الوقت المحدد إلى نيويورك، ولكن "البكس" والتي سمعت صدفة ما دار بين "بن" وموظف الحجز في المطار تقترح على المسافر استئجار طائرة خاصة، فيوافق ولأن قائد الطائرة الذي اتفقا معه على الرحلة برفقة كلبه الذي لا يفارقه كان مريضا فإن أزمة صحية ستتناوبه في الأجواء، ما سيستبب بوقوع الطائرة وسط سلسلة جبال يوتا المغطاة بالجليد، وقد فقدوا أي وسيلة للاتصال حتى عبر الهاتف المحمول ولم يخفيا بأي علامة تدل على وجود حياة إنسانية في تلك المنطقة.

نجاح وطير

كان من المقرر لفيلم "الجبل بيننا" الذي صنعه أبوسعد في هوليوود، أن يكون فيلم افتتاح مهرجان القاهرة السينمائي الدولي في إحدى دوراته، خاصة أن مخرجه كان حاضرا حينها لشغله العضوية في واحدة من لجان تحكيم المهرجان، لكن

وقد صور أبوسعد معظم مشاهد الفيلم عند جدار الفصل العنصري الممتد والمتعدد الانحناءات والذي كان عمره يحاول مرارا وكلما سحنت له الفرصة تسلكه للقاء حبيبته ناديا، متفاديا رصاص القناص الإسرائيلي. وقد أنتج هذا الفيلم بتمويل كامل من صناعة السينما الفلسطينية الناشئة وعرض في مهرجان كان السينمائي الدولي في قسم "نظرة ما" وفاز بجائزة النقاد، ورشح أيضا لنيل جائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي.

الجبل بيننا

نجاح فيلم "الجنة الآن" كان وجه خير على أبوسعد لأنه وبحصوله على جائزة الغولدن غلوب فتح الباب لنفسه ليدخل عالم هوليوود، إلا أن هوليوود لمن لا يعرف، هي من تبحث عن الوجوه الجديدة في عالم السينما وخاصة من لع اسمه في أفلام وجوائز وليس العكس، بل إنها أيضا تسعى لتستثمرها في إنتاجاتها، وإلا لكان بمقدور أبوسعد أن يقدم فيلما هوليووديا عن القضية الفلسطينية بإمكانيات استثنائية وربما ضخمة، لكن هوليوود وكما يقول أبوسعد نفسه "ليست جمعية خيرية تنتج أي موضوع، فهي تضع نصب عينيها مسألة الربح والخسارة، وإنتاج فيلم عن فلسطين بالنسبة لها فيلم خاسر".

كان من المقرر لفيلم "الجبل بيننا" الذي صنعه أبوسعد في هوليوود، أن يكون فيلم افتتاح مهرجان القاهرة السينمائي الدولي في إحدى دوراته، خاصة أن مخرجه كان حاضرا حينها لشغله العضوية في واحدة من لجان تحكيم المهرجان، لكن

تتم العملية، وأن يتراجع الشباب عن الفكرة برمتها. في ذلك الفيلم تطرق أبوسعد لمعالجة مشكلة يعاني منها ليس فقط شباب الشعوب المهجرة، حين يتبدد الأمل وتصبح اللا جدوى وانعدام الكرامة هما سمة الحياة، عندها يصبح الموت أمرا محتما عاجلا أم آجلا، الأمر الذي يجعل من هؤلاء الشباب عجيبة سهلة يمكن تشكيلها لتضحي بحياتها في عمليات انتحارية ضد العدو أو حتى الذات.

البعض اعتقد أن الجواب على تلك العمليات الجنونية يرجع دوما إلى فكر ديني تكفيري يسلب الشباب عقولهم، ويعدمهم بالجنة المفقودة، لكن فيلم "الجنة الآن" وكما يوحي به العنوان، حاول تقديم إجابة وتفسير مختلف، وربما صورة أكثر وضوحا وصدقا، فحتى العمليات الانتحارية العادية التي يُقدم عليها الشباب بكثرة في أماكن متعددة من هذا العالم، تأتي نتيجة اليأس والفقر والأوضاع المتردية.

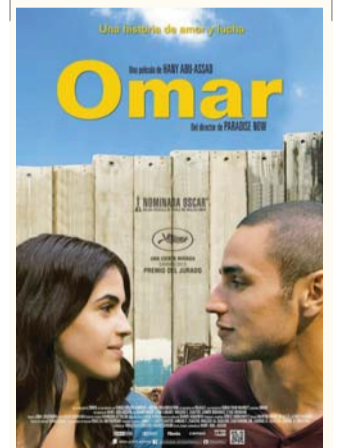
جراته بتقديم ممثل شاب ليلعب لأول مرة دور البطولة جعلت من الفيلم واحدا من بين الأفلام الأجنبية المرشحة لجائزة الأوسكار كأفضل فيلم في حفل توزيع جوائز الأوسكار للدورة الثامنة والسبعين. الفيلم حصل بعد عام من إنتاجه على جائزة الغولدن غلوب، وأثناء تسلم أبوسعد الجائزة ناشد العالم من أجل الاعتراف بفلسطين قائلا "إن الجائزة تمثل اعترافا بأن الشعب الفلسطيني يستحق الحرية والمساواة"، كما حصل الفيلم على جائزة مهرجان برلين للسينما العالمية، وجائزة العجل الذهبي من هولندا وغيرها من الجوائز.

المهاجر

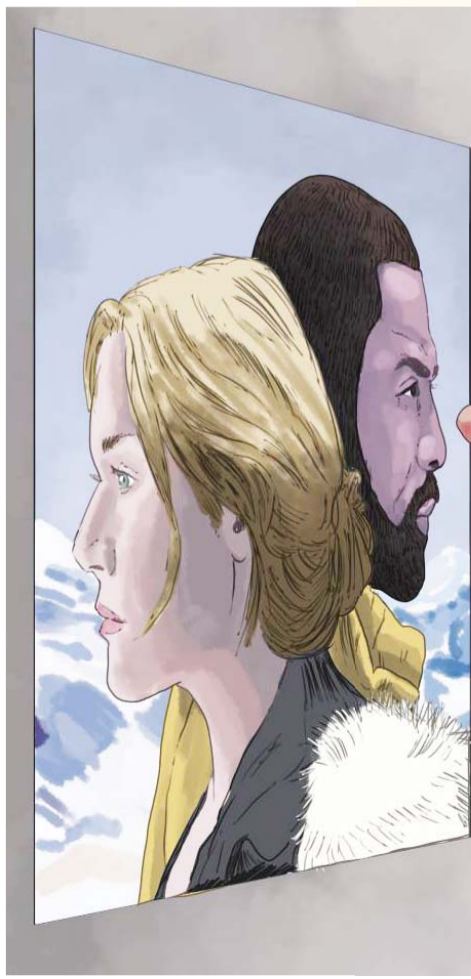
ولد أبوسعد عام 1961 في الناصرة، وهاجر إلى هولندا وهو لا يزال دون سن العشرين، ليدرس الديناميكا الهوائية، وعمل كمهندس طيران في هولندا لسنوات عديدة قبل أن يتجه نحو عالم السينما، وعبر فيلمه "عمر" ذهب إلى واقع راه قبل مغادرته بلاده، طارحا أسباب تجنيد الشباب الفلسطيني لصالح العدو، فقدم في الفيلم قصة الحب التي جمعت بين عمر، وهو عامل في مخبر لعب دوره آدم البكري الابن الثاني للفنان الفلسطيني محمد البكري، وناديا التي لعبت دورها الممثلة الناصرية الشابة ليم لوباني في تجربتها السينمائية الأولى وهي لا تزال في الـ18 من عمرها.

لمى طيارة
كاتبة سورية

● قليلون هم المخرجون الذين نتاح لهم فرصة العمل في هوليوود من خارجها، فما بالك إذا كان المخرج عربيا بل وفلسطينيا أيضا. صحيح أن هاني أبوسعد قد هاجر منذ سنوات إلى هولندا وحمل جنسيتها، ولكنه لطالما قدم نفسه معتزا بأصوله الفلسطينية، وهو المخرج الذي كرس مجمل أعماله السينمائية التي أخرجها، وربما شارك في إنتاج بعضها لخدمة قضايا الشعب الفلسطيني الإنسانية التي شغلت حيزا كبيرا من أعمال الفنانين والمبدعين الفلسطينيين، ويعتبر أبوسعد نموذجا لهؤلاء الفنانين الذين حاصرتهم هواجس الوطن منذ فيلمه الروائي الأول الذي قدم في العام 2005 تحت عنوان "الجنة الآن" ولعب بطولته كل من قيس ناشف، علي سليمان، إضافة إلى لبنى أزبال، وكانت أحداثه تدور حول شابين فلسطينيين من سكان نابلس هما خالد وسعيد، تم تجهيزهما لتنفيذ عملية إرهابية ضد مدنيين في مدينة تل أبيب، لكن نشاء الظروف إلا



جراته بتقديم ممثل شاب ليلعب لأول مرة دور البطولة جعلت من فيلمه "عمر" واحدا من بين الأفلام الأجنبية المرشحة لجائزة الأوسكار، الفيلم الذي حصل بعد عام من إنتاجه على جائزة الغولدن غلوب



وعلى الرغم من نجاح الفيلم، إنتاجيا وجماهيريا، إلا أنه يبقى في النهاية فيلما يشبه جل الأفلام الأميركية التي